مؤسسة النبأ العظيم

جلال القرآن الكريم

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة أم القرى - بمكة المكرمة

جلال القرآن الكريم

أ.د. طه عابدين طه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خصَّنا بخير كتاب أنزله، علىٰ خير رسول أرسله، لخير أمة أخرجت للناس، هدانا به من طرق الضلال، وبصّرنا به من عمىٰ البصائر، وشفانا به من عيٍّ الجاهلية، فكان نوراً، وهدىٰ، وشفاء، ورحمة.

والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد ﷺ الذي كان علمه القرآن، وتعليمه القرآن، ودعوته إلىٰ القرآن، وخُلُقُه القرآن، ووصيته القرآن، وميراثه القرآن، وعلىٰ آله الطيبين، وصحبه الصادقين، ومن سار علىٰ هديهم إلىٰ يوم الدين.. أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في بيان عظمة القرآن الكريم وجلاله وجماله، ومغانمه لأهله، اخترت لها عبارات سهلة، وأدِلَّة واضحة، واختيارات موضوعية متنوعة متناسقة، جعلتها روضة غنّاء، روحها وريحانها من عبق الذكر الحكيم، قطوفها دانية للمؤمنين، تُعمِّق إيمانهم بكتاب ربهم، وتحفزهم لتلاوته، وتدبره، والعمل والتمسك بهديه، فهو خير كلام يتلىٰ، وأفضل علم يتعلم، وأهدىٰ نور يستضاء به، وخير شفاء لكل داء، من

اتَّبعه هُدِيَ وسَعِدَ، ومن أعرض عنه ضلَّ وشقي، فالمُوفَّقُ من وفَّقه الله تعالىٰ لصحبته، وجعله رياض قلبه، ومتعة بصره، ونور بصيرته.

كتبت هذه الرسالة خلافاً لما درجت عليه في كتبي وأبحاثي؛ التي كنت كثيراً ما أتعمق فيها، وأقصد بها ذوي الهمم من المختصين؛ أمَّا في هذه المرة فقد اتَّجهت إلىٰ عمل لا يستغني عنه مسلم، عربيًّا كان أو أعجميًّا، صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثىٰ، فكانت هذه الرسالة التي أفرغتها إفراغاً من قلبي، بطريقة بيانية موجزة يجد كل قارئ فيها - بإذن الله- بغيته، لتزيده محبة وتعظيماً، وتبجيلاً ويقيناً، وبصيرة لكلام ربِّ العالمين، فإنَّ التبصير بعظمة القرآن وجماله، وتحبيبه للنفوس، وسَوقَ العباد إلىٰ هديه، والعمل به، وترك الإعراض عنه وهجرانه، من أعظم القربات في الحياة.

فنسأل الله تعالىٰ صدقاً يُحقِّقُ القبول، وتوفيقاً يُسدِّد الخطىٰ، وبركة بها يكون عظيم الأثر والنفع، إنه هو ولي ذلك والقادر عليه، وهو علىٰ ما يشاء قدير، نعم المولىٰ ونعم النصير.

١

كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ﴾ [التوبة:٦].

أول ما ينبغي أن يصافح قلب المؤمن في الإيمان بالقرآن الكريم؛ الإيمان بأنه كلام الله، ليكون عند توجهه إليه مستمعًا لتلاوته، أو مرتلاً له، أو متدبراً لآياته، مستشعر أنه مقبل علىٰ أسمىٰ وأصدق وأكمل وأعدل وأجمل حديث في الوجود، فليس هنالك أصدق منه خبراً، وأعدل منه حكمًا، وأكمل منه تشريعًا، فهو خير حديث تحفظه الصدور، وترده الألسن، وتتفكر فيه العقول، وتتعلمه وتهتدي به الأجيال، قال تعالىٰ:﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام:١١٥].

كيف لا يكون كذلك؟ وهو كلام خالق الإنسان، ومبدع الأكوان ومدبرهما علىٰ مر الدهور والأزمان، الذي

لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسع كلَّ شيء رحمة وعلمًا وحكمة، الغفور الودود، القوي العزيز، الملك الكبير، قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٤-٨]، كلام من له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، المنزّه عن النقص، المتصف بصفات الكمال، والجلال والجمال في الأقوال والأفعال، العلي العظيم، فمن فَكَّر -وهو- يتصفح القرآن ويتلوه بأنه كلام الله؛ قَدَرَ كل حرف منه حقَّ قدْره، وتعامل معه بمسؤولية منقطعة النظير.

فمن يقبل علىٰ القرآن -وقد رسخت فيه هذه العقيدة- أثمرت مباشرة في قلبه معاني الهيبة والإجلال، والتقديس والمحبة والجمال؛ فيخشع قلبه، ويلين جلده، وتخضع جوارحه، ويكون ممن قال تعالىٰ فيهم: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣]، وضعف هذه العقيدة في النفوس هو الذي

أضعف مباشرة؛ التعظيم والمحبة والاتباع لكلام الله، فمن أراد أن يحسن التعامل مع القرآن؛ فليأت إليه من باب الإيمان بأنه كلام الله صدقًا وحقًا؛ ليزداد بعد ذلك بتلاوته وتدبره رسوخًا وهدىً، فعظمة الكلام من عظمة المتكلم؛ فلا أعظم من الله تعالىٰ، ولا أعظم من كلامه.

٢

عليٌّ مكنون

وقال تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:١-٤].

القرآن الكريم رفيع القدْر، سامي المنزلة، عالي المكان، معظّم الجناب عند الله تعالىٰ، حيث صدر في اللوح المحفوظ فوضع في أعلاه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، وقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك حتىٰ يدرك العباد منزلة هذا الكتاب، وفضله وشرفه، وعلو قدره.

ثم بيّن ما حظي به من تمام الرعاية، وكمال الصيانة، والحفظ في الملأ الأعلىٰ، حتىٰ يتأسىٰ العباد بذلك المحفل الطاهر من الملائكة المقربين؛ بل هم أولىٰ بإكرامه وتبجيله واتباعه، وأحرىٰ حيث أنزله الله تعالىٰ إليهم، وشرفهم به، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٦- ٨٠]،

وبَيَّنَ شرف الصحف التي كتب فيها بأيدي الملائكة، قال تعالىٰ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٢-١٦].

فمن تأمّل في هذه الآيات، وجال فيها بخواطره، أدرك قيمة ومكانة هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وأنه ينبغي أن يصان في مكانه الذي يوضع فيه، والأوراق التي يكتب عليها، والأيدي التي تحمله، والصدور التي تحتويه، فهو كتاب عليٌّ المنزلة، فوق ما يتصوره البشر، ومن أدرك ذلك أدرك عظمة النعمة، وضخامة الهبة الربانية علىٰ عباده بإنزال هذا الكتاب المجيد، بما ينبّهنا عن غفلتنا في حقه، وتقصيرنا عن القيام بما يجب علينا تجاهه، وأنَّ المعرضين عنه والمستهزئين به؛ هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

ولِمَا للقرآن من القداسة والعظمة؛ شُرِعت أحكامٌ خاصَّةٌ تتعلَّق بتلاوته وتعلُّمه، فعلينا مراعاتها تحقيقًا لرعاية قدسيته ومنزلته: من الطهارة، والاستعاذة، والبسملة، والترتيل والإنصات، وغيرها، وقد صنَّف العلماء المصنفات في آداب حملته.

٣

جلال النزول

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر:١-٥].

لَمَّا أراد الله جَلَّجَلَالُهُ أن يُبلِّغ كلامَه لعباده، أنزله بما يدل علىٰ هيبة وجلال، بطرق وكيفيات معينة، من تدبرها علم عظمة وقدر وفضل هذا الكتاب المجيد: فقد أنزله الله تعالىٰ في خير أشهر العام، قال جلَّ وعلا: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، في أبرك ليلة فيه، وهي ليلة القدر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣]، وابتدأ نزوله في خير بلدة علىٰ وجه الأرض، أم القرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ [الأنعام:٩٢]، أنزله بوساطة أعظم

مَلَكٍ في السماء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ [التكوير:١٩-٢٢]، أنزله علىٰ خير رسول أرسله لأهل الأرض، أصدقهم لهجة، وأوفرهم عقلاً، وأحسنهم خُلُقًا، وأطهرهم قلبًا، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٧]، أنزله علىٰ خير أمة أخرجت للناس، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأنزله بخير لغة في البيان والإيضاح، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٢- ١٩٥].

كل هذه الاختيارات المتنوعة: زمانًا ومكانًا ومَلَكًا ورسولاً وأمة ولغة، تدل علىٰ عظمته، تُذكِّر بفضله، وترشد إلىٰ هديه، وتَحُثُّ علىٰ تعلُّمه؛ بل من فَكَّرَ في رسالة أرسلها له مَلِكٌ من ملوك الأرض، أو قائد من قادة الدنيا الكبار، وجاء وزيره المقرّب يحملها وهو يمشي إليه مسيرة عام، كيف

سيكون استقباله للرسالة وما فيها، والرسول القادم إليه؟!

والقرآن رسالة مَلِكِ الملوك، جاءت إلينا من مسيرة آلاف السنين، يحملها أشرف الرسل من الملائكة، لأشرف رسل الأرض ليبلّغها لنا، في أشرف ليلة، قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٣-٤].

٤

قول ثقيل

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥].

﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ يعني: كلاماً عظيماً جليلاً نفيساً ثابتاً راسخاً كريماً، أوصافه جليلة، وطلعته مهيبة، كيف لا يكون كذلك وهو كلام رب العالمين؟! وثقله ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: ثقل حسي: ظهر ذلك عند نزوله ووحيه علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد، كان يلقىٰ عند نزوله شدة، فيتفصّد جبينه عرقاً في الليلة الشاتية، ويثقُل جسمه ثِقْلاً شديداً، وتبرك ناقته، ولَمَّا أوحي إليه وفخذه علىٰ فخذ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حتىٰ خِفْتُ أَن تَرُضَّ فَخِذِي»، كل ذلك صَحَّت به الأحاديث والآثار، وثقيل في الميزان يوم القيامة، وثقيل من خلال قوة تأثيره، قال تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

القسم الثاني: ثقل معنوي: فهو ثقيل لِمَا له من وزن

ورجحان، وصِحَّة وبيان، ألفاظه عذبة، وجمله بليغة محكمة، ومعانيه بَيِّنَةٌ مثمرة، وهداياته عظيمة نافعة، شملت جميع العقائد والفرائض والحدود والأحكام، وفوق ذلك هو منزّه عن اللغو والعِوَج وسفاسف القول، قال تعالىٰ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]، وهو كذلك ثقيل علىٰ العقول أن تحيط بكنه معانيه، وفوائده وهداياته، وثقيل في العمل به في حدوده وفرائضه إلا من يسره الله تعالىٰ عليه فهو ميسّر، وهو ثقيل علىٰ الكفار والمنافقين؛ لأنه كشف أسرارهم وأستارهم وعيوبهم، وأعجزهم وتوعدهم، وفزع قلوبهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١].

فمن لم يحس بثقل كلام الله تعالىٰ -وهو يتلوه ويتدبره ويتبعه- فليراجع إيمانه، فإنَّ إحساس المؤمنين؛ بذلك هو الذي أثمر ما وصفهم الله تعالىٰ به في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾

وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء:١٠٦ - ١٠٩]، ومن أدرك ثقله أدرك عظم الأمانة التي طوّقت به في عنقه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب:٧٢]، فسارع في معالجة ظلم نفسك بالبعد منه والجهل بما جاء فيه، حتىٰ تقوىٰ علىٰ حمله.

٥

لا ريب فيه

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

من أصول الإيمان التي ينبغي أن تكون راسخة في القلوب؛ كرسوخ الجبال علىٰ الأرض، الإيمان بأنَّ القرآن الكريم لا ريب فيه من رب العالمين، فليس بقول شاعر ولا كاهن ولا ساحر، أو مما تخرَّصه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أو نقله من كتب الأولين، قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة٢]. ونَفْيُ الريب عنه هنا عام؛ لأنها نكرة في سياق النفي تفيد العموم، فهي تشمل جميع أخباره وأحكامه وهديه، وكُلَّ آية وحرف منه، فلا مجال للريب فيه، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [هود:١٧]، كما يشمل نَفْيَ الريب عن حججه وبراهينه التي كلها دلائل صدق ويقين، ويستلزم نَفْيُ الريب هنا الشهادة باستمرارية صحة مصدره، وكمال هديه، وبينات حججه، وعصمته من النقص والخلل،

فلا مجال للريب فيه بأي وجه من الوجوه، في كل زمان ومكان، وهو بذلك تميز عن غيره من الكتب المنزلة الأخرىٰ التي لم تسلم من الريب؛ لما حدث فيها من تحريف.

ومن ارتابوا في مصدره، أو في شيء مما جاء فيه، فهم إمَّا قوم جهلوا حقيقته، وكذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:٣٩]، أو عرفوا حقيقته؛ لكنهم أعرضوا تعنُّداً واستكبارا، أو اتبعوا أهواءهم فباعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١].

وقد خاطبهم الحق تعالىٰ بما يقطع شبهة الريب من قلوبهم، من خلال بيان إعجازه الذي ينفي نسبته لغيره جَلَّ وَعَلَا بصورة قاطعة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٣، ٢٤]، ليسجل من خلال ذلك عجز العرب أولاً عن معارضته بأقصر

سورة منه، ويكون ذلك برهانًا قاطعًا عن عجز غيرهم من باب أولىٰ، ونفي الريب عنه يستلزم الثقة التامة بمصدره، والطمأنينة بكل ما ورد فيه أنه حق وصدق وعدل، مع التحاكم إليه، والتسليم المطلق له، والقبول الكامل لهديه.

٦

مصدِّق ومهيمن

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨].

لما أراد الله تعالىٰ أن يختم الرسل والرسالات، ختمها بهذا الكتاب العزيز الذي جعله الله تعالىٰ مصدقًا لما قبله من الكتب، ومهيمنًا عليها، وناسخًا لكل دين غير الإسلام، فصدّق الكتب التي أنزلت علىٰ أنبياء الله، كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها، حيث دعا إلىٰ كل ما دعت إليه تلك الكتب من أصول الاعتقاد والأخلاق والعبادات، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:٣٧].

ومهيمن عليها؛ حيث كان هو المُصَحِّح والمُصوِّب لما حدث فيها من تحريف، فما صَدَّقَهُ القرآن مما جاء في الكتب السابقة فهو الصدق والحق، وما كذّبه فهو الكذب والباطل، وإن اعتقد أصحابها خلاف ذلك، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ

ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [المائدة:٣٠، ٣١]، فبيَّنَ كذب ما في كتبهم من انحرافات عقدية وعبادية وغيرها.

فهذا التصديق والهيمنة فيها من دلائل فخامة هذا التنزيل ورفعته ما لا يخفىٰ، وهو دليل علىٰ أنه أفضل الكتب المنزلة، وشمل خلاصة ما جاء فيها وزيادة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٩٦]؛ ولذا كان أحسن الحديث: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:٣٩]، وإذا استقر ذلك في قلب العبد فرّ إليه لا إلىٰ غيره ليكون به نجاته؛ ومن هنا خاطبنا الله تعالىٰ بذلك فقال: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر:٥٥]، وهو بلا شك القرآن الكريم.

فهذا الشرف العظيم الذي خصَّ الله تعالىٰ به القرآن،

ينبغي أن يجعلنا أكثر اعتزازاً به، وتمسكـًا بهديه، واليقين أنه مصدر تميزنا، وسر قوة الأمة وخلودها، فيزداد بذلك المؤمن تعظيمـًا ومحبة له، ولا يلتفت لما يبهرج من سَقَط الحضارات الغربية، أو يلقيه أعداء الأمة اليوم، من شكوك وشبهات حول بعض تعاليمه التي لم يفهموا سرها وعظمتها.

٧

الحفظ الأبدي

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١، ٤٢].

لما كان القرآن الكريم خاتم الرسالات، ورسوله خاتم الرسل، تولىٰ الله تعالىٰ بنفسه حفظه، فصانه من عبث العابثين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فحفظه الله تعالىٰ من الزوال والزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، فلا يتطرق له الخلل علىٰ الدوام، وهذه ميزة ميزه الله تعالىٰ بها بين سائر كتبه التي استحفظها لبعض خلقه؛ فبُدِّلَت وغُيِّرت، كما قال تعالىٰ: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ [المائدة:٤٤].

فلن ترىٰ في الوجود كتاباً حُفِظَ جَنابُه، وصينت كلماتُه، وقُطِع الريب في إمكانية تبديله كهذا الكتاب، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ [الكهف:٢٧]، فلا تسمع لدعاوي

الخائبين من الشيعة الروافض، ومن سار علىٰ ضلالهم المبين الذين يريدون أن يكذّبوا الله في خبره، ويقولوا بخلاف ما أجمعت عليه القرون الأولىٰ ومن تبعهم من الخلف، فكيف يبدل ما تولىٰ الله تعالىٰ حفظه؟! وقد توعد من يفكر في ذلك بقطع وتينه، قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٣-٤٧].

فكان هذا الحفظ له في كافة المراحل، فجعل للسماء حين نزوله حرساً شديداً وشهباً؛ حتىٰ لا تسترق الجنُّ السمع، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٨، ٩]، وجعل له حفظاً آخر في قلب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أثناء نزوله وتبليغه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٧]، ثم تولىٰ رب العزة - بذاته العلية وجلالة قدره - حفظه بعد اكتمال نزوله، ليستمر خلوده إلىٰ أن يرفعه في آخر الزمان، وقد ظل القرآن عزيزا خالداً مع امتداد هذه القرون الطويلة كما

أنزل، علىٰ الرغم مما تعرضت له الأمة في تاريخها من نكبات، لندرك وجهاً آخر من أوجه شموخ هذا الكتاب العزيز؛ لتبقىٰ رسالة الإسلام خالدة بخلوده.

٨

آية الرسالة الكبرى

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

ما من رسول أرسله الله تعالىٰ إلا وجعل له آية تدل علىٰ صدقه، وتؤيد دعوته، وجميع من أرسلهم كانت معجزاتهم حِسِّيَّة إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد جعل الله معجزته معنوية من خلال ما أنزله عليه من كتاب عزيز، جعله من جهة للهداية، ومن جهة أخرىٰ آية الرسالة، قال تعالىٰ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، ولذا كان رجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تكون أمته أكثرهم تبعًا يوم القيامة، كما جاء في الصحيحين عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقد تحدَّاهم الله تعالىٰ جميعًا أن يأتوا بمثله فعجزوا، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، ثم تحدَّاهم بعشر سور مثله فعجزوا، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود:١٣]، ثم تحدَّاهم بسورة مثله فعجزوا، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٣٨]، ثم تحدَّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، وقطع لهم بأنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا فعجزوا، فكان ذلك برهانًا قاطعًا عن صدق الرسالة مدىٰ الدهر، وحجة كافية لمن أراد الهدىٰ، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]، ومن هنا كان من لم يهده القرآن، ويكفه ذلك آية وعلامة، لم يجد في سواه كفاية وهدىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:٥٠].

قال أحمد شوقي:

جاءَ النبيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَتْ
وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ
آياتُهُ كُلَّما طالَ المَدىٰ جُدُدٌ
يَزينُهُنَّ جَلالُ العِتقِ وَالقِدَمِ

٩

تبيانٌ لكلِّ شيء

قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يفي بجميع حاجات الإنسانية، فيما يحقق صلاح أمر دينها ودنياها ومعادها، في الأحوال الفردية والجماعية، والعمرانية، وفي الجوانب العقدية والتعبدية، والأخلاقية والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، رحمة منه تعالىٰ وفضلاً، وهذه خصيصة لا توجد في غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، هذا علىٰ القول بأن المراد بالكتاب فيها: القرآن الكريم، وفي السياق ما يدل عليه.

ولما كانت دلالة القرآن علىٰ كل شيء منه ما هو محكم ظاهر، ومنه ما هو متشابه خفي، يحتاج الوصول إليه إلىٰ استنباط ونظر، ظلت جهود العلماء عبر التاريخ متصلة في استخراج علومه المتنوعة، التي يطول حصرها، ويصعب

عدها، حتىٰ أصبح لا يوجد كتاب في تاريخ الإنسانية سجلت حول علومه كتبًا، وألَّف حوله العلماء مثل القرآن الكريم، فهو أوسع الكتب المنزلة علما، وأوفاها هدىٰ، حوىٰ كل أمر رشيد، ونهىٰ عن كل شيء بغيض، أوامره كلها قائمة علىٰ العدل والرحمة والحكمة، كافيًا لمن طلب الكفاية.

ومن هنا ينبغي أن ندرك عظمة هذا الكتاب؛ الذي لا يوجد كتاب حوىٰ كل علم تحتاجه الإنسانية لرشدها غيره، مما يجعلنا ونحن نتلو آياته، ونبحث في هداياته أننا أمام بحر من العلوم لا ساحل له، ولا نهاية لهداياته، لا ينقطع له عطاء؛ ولذا نجد العلماء في كل عصر يهرعون إليه؛ كلَّما حلت بهم معضلة، أو نزلت بهم نازلة فيتدبرون القرآن ليجدوا الهدىٰ منه، ولم يقل عالم أنه أحاط بعلمه؛ بل كل واحد منهم سجل عجزه، كلَّما تطورت علوم الحياة التطبيقية والعقلية كانت خلاصة ما توصلت إليه مصدق لما جاء فيه، وبرهان علىٰ أنه ممن وسع كلَّ شيءٍ علما؛ كما قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

١٠

عظمة في أسمائه وصفاته

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

القرآن الكريم تنوعت أسماؤه وصفاته، وكل اسم أو صفة له فهي تحمل دلائل العظمة والجمال عن هذا الكتاب المجيد، وهذه الأسماء والصفات لكثرتها أفردها بعض العلماء بالتصنيف، إليك بعضاً منها:

فمن أسمائه (الكتاب)، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، حتىٰ تعلم أنه إذا أطلق الكتاب فلا يذكر غيره، فلا يوجد كتاب يداني صفاته فضلاً أن يساويه، ومن أسمائه (الفرقان)؛ لأنَّ الله تعالىٰ فرّق به بين الحق والباطل، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، ومن أسمائه (الحق)، فلا حق بغيره، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [محمد:٢]،

ومن أسمائه (العلم)، حيث جمع الله تعالىٰ فيه سائر علوم الكتب السابقة وزاد عليها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]، ومن أسمائه (الهدىٰ)، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن:١٣]، ومن أسمائه (النور)، قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨]، ومن أسمائه (الذكر)، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وغيرها من أسماء كثيرة.

والقرآن كما تجلت العظمة والجمال في أسمائه؛ تجلت في صفاته، من ذلك وصفه بأنه كتاب (كريم)، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٧]، و(عظيم)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، و(حكيم)، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:٢]، و(مجيد)، قال تعالىٰ: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق:١]، و(عزيز)، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت:٤١]، وغيرها من صفات كثيرة، كل واحدة منها لو تأملها العبد لكفت في الدلالة علىٰ عظمة القرآن، ونبهت علىٰ جليل فضائله، ودفعت للإقبال

علىٰ تعلمه وتعليمه؛ لأن تعدد الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ تدل علىٰ عظمة المسمىٰ، فكيف إذا ذكر للمسمىٰ أكثر من مائة وصف، كل وصف بلغ في الحسنىٰ كماله، كوصفه بأنه: (نور وروح)، و(حق هدىٰ)، و(شفاء ورحمة)، و(كريم وحكيم)، و(عظيم ومجيد)، وغيرها من صفات..

١١

كتاب حكيم

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:٥٨].

القرآن كتاب حكيم، تفيض الحكمة في كل آياته، وكيف لا يكون كذلك وهو منزل من حكيم حميد عليم خبير، قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦]؛ ولذا فهو كتاب محكم حكيم تتجلىٰ معاني الحكمة في كل جوانبه من حيث مضمونه، وطريقة توجيهه، وترتيب أولوياته، وتنوع أساليبه وغيرها.

ولما جمع القرآن كل معاني الحكمة حتىٰ أصبحت نعتًا لا تنفك عنه؛ وصفه الله تعالىٰ في عدد من المواضع بالحكيم، قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [١-٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢]، ومن كمال حكمته لا تزيغ به الأهواء،

ولا تلتبس به الألسن، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من عَلِم عِلْمَه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلىٰ صراط مستقيم، ما اتخذه عبد دليلاً إلا نال به صفات الكمال البشري، وتحققت له السعادة السرمدية؛ لأنَّ به يصاب الحق في الاعتقاد والقول والعمل، ويقوم السلوك، وتسمو الأرواح والنفوس، فهو الكتاب الذي يصنع الحكماء ويؤتي الحكمة؛ ولذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦٩]: «الحكمة فهم القرآن الكريم» رواه الطبري في تفسيره، فهو ينبوع الحكمة والرشد، المسدد في القول والعمل، الناهي عن الفساد والهوىٰ، فمن جعل القرآن منطلقه كانت الحكمة دثاره، وهو حكيم الأرض حقاً.

ومن أدرك كمال حِكم القرآن الكريم؛ ما اشتغل بسواه من كُتب لبعض الفلاسفة والمفكرين الغربيين، وغيرهم الذين يسمون بالحكماء، ولَعَلِمَ تفاهة تلك الآراء؛ لأنه سيدرك أنه ما من خير إلا وقد بينه الله تعالىٰ، ودعا إليه ورغّب فيه، وذكر من

جوانب الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر وفساد إلا وقد بينه ونهىٰ عنه وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة، فمن وفق إليه فقد وفق لطريق الحكمة التي وعد الله من سلكها بخير كثير ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩].

١٢

ذكر مبارك

قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٥٠].

قيمة أي كتاب تظهر من خلال ما يحقق من نفع ويتركه من أثر، ومن أعظم ما وصف الله تعالىٰ به كتابه أنه «كتاب مبارك» بمعنىٰ: كثير البركات، خيره دائم، ومنفعته متصلة في الدنيا والبرزخ والآخرة، وعلومه متنوعه، وهداياته غير متناهية، وثواب تعلمه أو تعليمه عظيم، من تمسك به حلت عليه من بركاته ما به تتحقق له سعادة الدنيا والآخرة؛ ولذا نص الله تعالىٰ علىٰ ما يتحقق باتباعه من الخير، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]، فمن بركته أنه يؤلّف القلوب ويشفيها، ويزكي النفوس ويصلحها، مرشد للحق، هادم للباطل، طارد للشياطين، محقق للعدل والرحمة، رافع للذكر، لا ينكر ذلك إلا مكابر، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٥٠]، عمّت بركته فشمل جميع ما احتوته

الكتب السابقة وزاد عليها، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام:٩٢].

فمن عرف بركة هذا الكتاب في أصله ومصدره، ومعانيه وعلومه، أدرك كذلك عظمة بركته علىٰ من يتلوه لنفسه أو في بيته، أو يستمع إليه ويتدبره، ويتعلمه ويعلمه، ويقوم بخدمته، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، فهو كتاب كثيرٌ خيره علىٰ من صحبه واتبعه وعمل به، ووهب حياته لخدمته، فما اشتغل به عبد في الحياة عن إيمان وصدق إلا كانت عاقبته حسنة، وسيرته شريفة، وحياته طيبة كريمة، ونفسه منشرحة، والبركات تفيض عليه في كل جوانب حياته؛ بل في كل يوم يجد زيادة ونماء، ومن جرب بصدق عرف، وكيف لا تكون حياته كذلك؟! وهو ينعم بهذه الصحبة الربانية المباركة، بل بقراءة سورة واحدة تحل البركات، كما جاء في صحيح مسلم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ».

١٣

ذكرٌ للعالمين

قال تعالىٰ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٧].

من أعظم خصائص هذا الكتاب المجيد؛ عموم رسالته وشمولها للإنس والجن علىٰ اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، وتنوع بلدانهم، وقرونهم، لا كما يريد أن يصوّره بعض أعداء الملة فيجعلونه للعرب خاصة، فهو نزل بلسان عربي مبين، وكان هداه للعالمين إلىٰ يوم الدين، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، ومن هنا كان خطابه موجهًا للإنسانية كلها، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥].

هو كتاب يحكي تاريخ الإنسانية من خلق آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهبوطه للأرض إلىٰ آخر رسول أرسل للناس، ويُبَيِّنُ للإنسانية أصلها الواحد الذي ترجع إليه، ويهدم فوارق الشعوبية والقبلية وغيرها ليؤسسها علىٰ قواعدَ متينةٍ، ويهديها

طريقاً مستقيماً في الحياة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣].

وهو كتاب واحد، خاطب الله تعالىٰ به الثقلين الجن والإنس علىٰ امتداد الزمان والمكان، فالله هو رب العالمين، والقرآن تنزيل رب العالمين الذي هو وحده يعلم ما يصلح العالمين، لا يتقيد هديه بزمان ولا مكان، ولا جنس ولا لون، يهدي الأنام إلىٰ أصح العقائد وأفضل القيم والأخلاق، وأهدىٰ الأحكام التي بها تستقيم حياتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة:٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠]، فمن فهم هذا المعنىٰ عَرَفَ عظمة هذا الكتاب، ودين الإسلام، وعمل لخدمة رسالة جعلها الله تعالىٰ للعالمين، حتىٰ تنعم برحمته ونوره وهداه.

١٤

روح من أمر الله تعالى

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

فالله تعالىٰ أحيانا بروحين: روح للجوانب الحسية، وهي التي بها حياة الأجساد، قال تعالىٰ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥]، وروح معنوية بها تكون حياة القلوب، قال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل:٢]، والمراد: ينزِّل الملائكة بالوحي علىٰ مَن يشاء من عباده المرسلين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾.

فالقرآن هو الكتاب الوحيد الذي يحيي القلوب، ويبعث روح الحياة الإيمانية في الكون، ولذا خاطبنا الله تعالىٰ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا

﴿فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢]، فكما أنَّ الأرض تحيا بوابل السماء كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج:٥]، فكذلك تجد الأمة هامدة هائمة في ضلالها بغير قرآن، فإذا أشرق فيها نور القرآن اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، كما كانت أمة العرب بغير قرآن هامدة، فلما نزل عليها الوحي أخرجت خيرة رجال الهدىٰ للناس.

ومن خلال ما سبق يظهر لنا فضل هذا الكتاب، وأثره وقيمته في حياة الفرد والجماعة، فأكمل الناس حياة أكملهم له اتباعًا واستجابة، وأعظم الأمة رفعة وشموخًا أعظمهم به حياة؛ ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما جاء في صحيح مسلم: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»، فكل من أقبل عليه؛ رفعه وأكرمه، وأعزه وأحياه حياة طيبة، ومن أعرض عنه، أو آمن ببعضه، وكفر ببعضه أذله الله تعالىٰ وأشقاه وأخذه، قال تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

١٥

ولكن جعلناه نورا

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

الله تعالىٰ أنار الوجود بنورين ليهتدي بهما العبد، نور حسي من خلال الشمس والقمر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ [نوح:١٦]، ونور معنوي من خلال الكتاب والسنة، وقال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [التغابن:٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:١٧٤].

فالنور الحسي لهداية الأبصار، والنور المعنوي لهداية البصائر، وهو الأهم، لأنه هو الذي به يبصر العبد الحق، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ

وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٥، ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد:٩].

فهذا النور هو الذي يخرج الله به أولياءه من ظلمات الضلال إلىٰ نور الهدىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد:٩]، وهو الذي يوصل لفلاح الدارين، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وهو النور الذي يمشي به المؤمن في الناس علىٰ بصيرة، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وهديه هو النور الذي يمشي به المؤمن في الصراط

يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد:١٢].

فوصيتي لك أنَّ الحياة مظلمة فلا تسر فيها بغير نور الله تعالىٰ؛ إذ إنَّ من لم يجعل الله له نوراً منه فما له من نور، فالقرآن هو النور الذي أضاء لأوليائه طريقًا مشرقًا للهدىٰ.

١٦

يهدي للتي هي أقوم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الاسراء:٩].

كانت الإنسانية في حيرة، وتخبط في العقيدة والعبادة والأخلاق، وتمشي مُكِبَّةً علىٰ وجهها، دون صراط مستقيم، ومنهج قويم يصلح حياتها، ولن تستطيع بعقولها القاصرة، وأهوائها المُعْوَجَّة الوصول إلىٰ ما يحقق سعادتها، فكان من كمال عناية الله تعالىٰ بخلقه، وعظيم نعمته عليهم؛ أن أنزل عليهم خير كتبه القرآن الكريم؛ ليهديها من خلاله للتي هي أقوم في سائر نواحي حياتها، بما يحقق سعادتها وصلاحها، وأمنها، واستقرارها، وازدهارها، ويحفظها من السبل المُعْوَجَّة والمنحرفة، التي لا تجد معها الإنسانية إلا الشقاء والعنت، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:١٧٤، ١٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ

ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٥، ١٦].

فكل من أراد الهدىٰ في حياته فعليه أن يسأل نفسه؛ أين هو من هدي القرآن؟! ولا ينبغي أن يضيع وقته وجهده فيما لا يحقق ما يريده، بل عليه أن يقبل علىٰ تلاوته وتدبره، وتعلم هديه حتىٰ يهديه إلىٰ الحق والرشد، كما قالت الجنُّ يوم أن أقبلت عليه، في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن:١، ٢]؛ وهدايته عامة تامة كاملة لا عوج فيها؛ ولكن

المصيبة اليوم فيمن يبتغي الهدي في غيره من أبناء المسلمين، فالقرآن أنزل من أجل غاية كبرىٰ وهي: هداية الإنسانية للتي هي أقوم، فمن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً.

١٧

لا يضلُّ ولا يشقى

قال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١١٧].

القرآن الكريم له فضائله كثيرة يصعب حصرها، وهو منة ربانية عظمىٰ، ومن عظيم فضله وسعة خيره ما وعد الله تعالىٰ به متبعه من مغانم، منها: ما يتحقق به من الهدىٰ والسعادة، والإبعاد من الضلال والشقاء، قال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ فالضلال والشقاء متلازمان، وبنفيهما يثبت عكسهما، وهما الهدىٰ والسعادة وهما متلازمان؛ لأن ثمرة الهدىٰ السعادة، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما رواه عنه الطبري في تفسيره: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ، هَدَاهُ اللهُ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَوَقَاهُ سُوءَ الْحِسَابِ».

ومن فوائد اتباعه كذلك ما يتحقق لصاحبه من الأمن والسرور، الذي ثبت من خلال بيان سلامة متبعه من الخوف والحزن، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، كما وعد الله تعالىٰ متبعه برغد

العيش، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، كل ذلك من أعظم المرغبات في اتباع القرآن الكريم، الذي يدفع الله تعالىٰ به عن العبد كل مكروه، ويسهل له به حصول كل مرغوب.

ومن لم يتبعه فكفر وكذّب به وأعرض عنه، حصل له عكس ما وعد الله تعالىٰ به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]، وهذا الضنك هو ضيق عام يلحقهم في عيشتهم، فيفسدها عليهم مهما كانت النعم تحيط بهم، فنجد الواحد منهم في حرص وطمع، وجزع وهلع دائم، لما في نفوسهم من قلق زوال النعمة، أو زوالهم من الدنيا، ولما تجره المعاصي والخبائث علىٰ نفوسهم من الذل والهموم والغموم والآلام المتصلة، ولما شغلوا بها من إرهاق في جمع الحطام الفاني، ولم ينعموا بما يمكن أن يجدوا من لذة البذل والإعطاء الذي هو بهجة الدنيا وسعادتها، كما هم في ضنك ضيق هذه الدنيا، التي لا يوسعها إلا الإيمان برب النعمة، وما عند الله من عظيم الجزاء في الآخرة، ولما كانت حياتهم كلها آلامًا؛ أمرنا الله

تعالىٰ بالإعراض عنهم، قال تعالىٰ: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النجم:٢٩].

والقرآن لا يشقىٰ العبد معه؛ لأنه ليس فيه تكليف يشق علىٰ المكلفين، بل هو شرع ميسّر مرفوع عنه الحرج والمشقة من رحمان الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج:٨٧]، بل جاء لعلاج المشقة التي كانت علىٰ من قبلنا: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فهو شرع ميسر، متوافق مع الفطرة السليمة، والعقول المستقيمة، ما أمر الله تعالىٰ فيه بأمر إلا وكانت مصلحته خالصة أو راجحة، وما نهىٰ عن شيء إلا وكانت مفسدته خالصة أو راجحة، ليس فيه تكليف لا يطاق، أو يجلب علىٰ العبد العناء والمشاق، قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه:٢]، قال قتادة فيما رواه عنه الطبري في تفسيره: «لا والله ما جعله شقاء، ولكن جعله رحمة ونورًا ودليلاً إلىٰ الجنة»، فكيف بعاقل يبعد عن مصدر السعادة والإسعاد له ولأمته؟!

١٨

شفاء ورحمة

قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النحل:٨٢].

مما أظهر الله تعالىٰ به فضل كتابه، ورغَّب عباده للإقبال عليه، وصفه بأنه شفاء، شفاء للأمراض المعنوية والحسية؛ ولذا قسّم العلماء هذا الشفاء إلىٰ قسمين:

الأول: شفاء لما في الصدور: وهذا نص الله تعالىٰ عليه؛ لأنها هي مستقر الإيمان، والهدي، وموجهة الجوارح، وبصلاحها يصلح القول والعمل، ويفسد بفسادها، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]، فهو شفاء لما في القلوب من داء الكفر والشرك والنفاق، وجميع العقائد الفاسدة، والشهوات المانعة عن الانقياد للحق، وأمراض الشبهات الصارفة عن العلم اليقيني، وشفاء لها من العمىٰ والجهالات المضلة، والأفكار الباطلة التي تورث الشكوك، وشفاء لما

فيها من الكبر والبغضاء، والغل والحسد الذي يورث الشحناء والشقاق وسوء الأخلاق، وشفاء للوساوس الشيطانية، وكل أنواع أمراض القلوب.

والثاني: شفاء لأمراض الأبدان: وقد أخذ العلماء هذا من عموم الشفاء في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾ [فصلت: ٤٤]، وبما ورد في السنة النبوية من استشفاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به إذا اشتكىٰ، كما أخرج البخاري عن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ نَفَثَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَىٰ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ؛ طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَنْهُ**»، وقد أقرَّ أصحابه علىٰ ذلك كما جاء في صحيح البخاري في رقية سيد القوم الذي لدغ بعد أخبروه بما حدث فقال لهم: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا»، وكم رأينا من أمراض وأوجاع عجز عن علاجها الأطباء تحقق الشفاء منها ببركة الاستشفاء بالقرآن؛ ولكن ينبغي لنا أن نعلم أن ما

يؤهل للاستشفاء بالقرآن: قوة الإيمان به، والتصديق بما أخبر الله عنه، والإقبال للتداوي به عن قناعة ويقين، فماذا يساوي داء أمام كلام رب الأرض والسماء؟! ومن هنا خصصت الآية أنه شفاء للمؤمنين، أما المعرضون عنه فلا تزيدهم إلا خسارة، قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [النحل:٨٢].

فالقرآن الكريم وصفه الله تعالىٰ بأنه شفاء ولم يصفه بأنه دواء، حتىٰ نتيقن الشفاء العام به؛ لأن الدواء قد لا يشفي، بل يجب علينا أن نعلم أنه لا يوجد شفاء أكمل ولا أعظم منه في الحياة في جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأن البحث عن شفاء لأمراض مجتمعاتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية وغيرها؛ في غير القرآن لن يزيدنا إلا أمراضاً، وتساقط النظريات الغربية وفشلها المتعاقب يؤكد هذه الحقيقة، فكيف نغفل عن كتاب وصفه الله تعالىٰ بالشفاء، ثم أتبع ذلك بوصف الرحمة؛ لأنها تعني كمال العناية والخير؛ فما من مرض أو علة إلا وهو يوضح لك وصفها، وعلاماتها، وأسبابها، وآثارها، وكيفية علاجها بأحسن وأكمل أسلوب، يوصل إلىٰ الشفاء التام بصورة لا تجدها في سواه.

١٩

تجارة لن تبور

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩].

العيش مع القرآن الكريم استماعًا، وتلاوةً، وحفظًا، وتدبراً، ومدارسةً، وعملاً به، هو التجارة الرابحة، والغنيمة العظيمة، فالفضل والخيرية لمن رجا هذه التجارة وعمل لها، فقد جاء في صحيح البخاري عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وفي رواية: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وقد وردت الأدلة الكثيرة التي تفصل الجوانب المتنوعة من الربح مع القرآن، من ذلك:

أولاً: الاستماع إليه: رحمة، وهداية، وزيادة إيمان، ذكر القرطبي في تفسير عن الليث قال: «يُقَالُ مَا الرَّحْمَةُ إِلَىٰ أَحَدٍ بِأَسْرَعَ مِنْهَا إِلَىٰ مُسْتَمِعِ الْقُرْآنِ، لِقَوْلِ اللهِ جَلَّ

ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]»، وقال تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٧، ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

ثانيًا: تلاوته: ثواب عظيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩، ٣٠]، وكيف لا يكون تجارة رابحة والحرف بعشر حسنات؟! وقد جاء في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ »، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ

اللهِ عَزَّوَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ ».

ثالثًا: مدارسته: غنيمة عظيمة، حيث هي سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

ربعًا: الماهر به: فالماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، سواء كان ماهراً في تلاوته لما جاء في صحيح مسلم عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِىْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»، أو كان ماهراً في حفظه لما جاء في صحيح البخاري عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ

لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ».

خامسًا: العمل به: فالعمل بالقرآن سبب فلاح الدارين، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وجاء في صحيح مسلم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُؤْتَىٰ بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ ».

٢٠

حبل نجاة لمعتصم

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

أي شخص في الحياة تكتنفه مخاطر متنوعة؛ هو يبحث عن سبيل نجاة لنفسه ومن حوله، وقد أمرنا الله سبحانه في القرآن الكريم باعتصامين؛ بهما نجاة العبد وهما:

الأول: الاعتصام بالله: قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨]، من خلال إخلاص العبودية له والتوكل عليه وحده لا شريك له.

والثاني: الاعتصام بكتابه: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء:١٧٤، ١٧٥].

وقد جاء في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**أَلاَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،**

هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ».

فالاعتصام بحبل الله يعصم العبد من الضلالة والهلاك وكل أسباب الفشل والضياع، ويُقِيمُه علىٰ طريق الأمن والهدىٰ، فهو عصمة لمن اعتصم به، حبل نجاة لمن اتبعه؛ لأنه عروة وثقىٰ لا انفصام لها لمن تمسك به، قال الشاعر:

يـا أمتـي القـرآن حبـل نجاتنـا
فتمسـكي بعـراه كـي لا نغرقـا
ولتجمعـي حـول الكتـاب شـتاتنا
حتـىٰ نزيـل تناحـراً وتفرقـا
ولتجعليـه محكمـا في أمرنـا
وثقـي بوعـد الله أن يتحققـا

فالاعتصام به يكون بجعله منهجًا لحياتنا دون غيره من آراء الرجال وأهوائهم، وهو ضرورة لعصمتنا من الضلال، وتحقيق سعادتنا في الحياة، ونجاتنا في يوم المعاد، فكيف بعاقل ألا يتمسك بما فيه نجاته؟! ولا نجاة له بسواه، وهو

الذي أمر بكل معروف، ونهىٰ عن كل منكر، وأقام كل حق، وأبطل كل باطل، ودل علىٰ كل خير، ونهىٰ عن كل شر، وبه جمع الله القلوب بعد أن وحد به عقيدة الأمة، ومنهجها، وتصوراتها للحياة.

فلابد للمؤمن أن يدرك أن الدين كله في الاعتصام بالله وبحبله، علما وعملا، وإخلاصا واستعانة، ومتابعة واستمراراً علىٰ ذلك إلىٰ يوم القيامة.

٢١

كتاب فيه ذكركم

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠]

من أعظم الأمور التي تحث علىٰ الإيمان بالقرآن الكريم، وتعلمه وتعليمه والعمل والتمسك به قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ﴾ أي: عزكم وشرفكم وفخركم وعلوكم، فبينت الآية أن الأمة لو آمنت به، واتبعت هديه، شرف قدرها بين الأمم وعلا شأنها، وكيف لا يكون ذلك وهو أشرف كتاب أنزله الله تعالىٰ؟! كما قال تعالىٰ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص:١]، أي: ذي القدر العظيم والشرف النبيل.

وقد ظهر شرفه في أمة العرب عند نزوله؛ فتأمَّلْ كيف حوَّلَها من أمة عداء وتمزق وضياع؛ إلىٰ أمة وحدة ورحمة وعز؟! سادت في الناس بعلمها وحضارتها النابعة من هدي هذا الذكر الحكيم، قال تعالىٰ مذكراً بذلك: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ففي طيلة تاريخ الأمة كانت ثمرة التمسك به علوًا ورفعة، وثمرة التهاون به هوانًا وضعفًا ومقتًا وذلًا؛ ولما كان الغفلة عن ذلك عدم عقل ووعي؛ ختم الله تعالىٰ الآية التي توضح ذلك بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لاستقباح الإعراض عنه.

ولما كان القرآن شرفًا لمن اتبعه وعمل بما فيه، لما فيه من سمو العقيدة، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال التي يسمو بها كل من تمسك به؛ أمر الله تعالىٰ رسوله والأمة تبعًا له بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٣، ٤٤]، وكان من القبيح لكلِّ ذي علم من أبناء الأمة؛ أن لا يهتم بهذا الكتاب الذي هو شرفه وشرف أمته وعزها.

ومن هنا كان القرآن لكل ذي علم من أبناء الأمة؛ ملاذاً وملجأ يبذل الغالي والنفيس في تعلمه وتعليمه، وتوصية الناس

للتمسك به، وبث هديه في العالمين، وهذا من باب ذكر هذه النعمة وشكرها ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٣١].

٢٢

الشفيع المُشَفَّع

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].

يوم القيامة يوم شديد الخطب عظيم الكرب، كل إنسان يبحث فيه عن ما تكون به نجاته وسلامته، ومن فضائل القرآن الكريم الكبيرة التي تتجلىٰ في ذلك اليوم، ما يتحقق لأهله من اصطفاء وتكريم، فقد ثبتت بالأدلة الكثيرة التي تبين أن القرآن يشفع لمن صحبه؛ تلاوة وتدبراً وعملاً وكان هو همه وشغله، وإن كان ظالما لنفسه أو مقتصدًا حتىٰ يدخله الجنة، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ

وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ».

وقد صح في مسند الإمام أحمد وغيره عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَي رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»؛ بل السورة الواحدة تشفع للعبد يوم القيامة كما صح في السنن وغيرها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«إنّ سُورَةً مِنَ القُرْآنِ ثلاثونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتّىٰ غُفِرَ له، وهِيَ تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ»، وقد ورد موقوفًا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «القرآنُ شافع مُشفَّع، وماحل مصدَّق، فمن جعله أمامَه، قادَه إلىٰ الجنَّةِ، ومن جعله خَلْفَ ظهره، قاده إلىٰ النار».

وقد قال الشاطبي في «الشاطبية» في ذلك:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ
وَأَغْنىٰ غَنَاءً وَاهِبًا مُتَفَضِّلاَ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ
وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
وَحَيْثُ الْفَتىٰ يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ
مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلاً
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً
وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزّ يجتُلَىٰ

فمن أدرك هذه الحقيقة الإيمانية أدرك فضل هذا القرآن، وشرف صحبته، وأن حياته مع القرآن هي الفوز في الدنيا والآخرة.

ومن أدرك كل هذه المحاسن والفضائل التي ذكرناها وغيرها عرف أن من استغنىٰ عن الماء الذي منه حياته، لن يستطيع الاستغناء من كلام الله تعالىٰ الذي به حياته الحقيقية ونجاته في الدنيا والآخرة، وعلم أن الله تعالىٰ اختصه بأعظم

غنىٰ وأبلغ كفاية في الحياة؛ ولذا خاطب الله تعالىٰ رسوله بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٧-٨٨]، فكل نعمة وإن عظمت فهي بجواره صغيرة ضئيلة، ويكفي في إدراك فضله أن تعلم أنه قائدك لأسعد الحالات، وأعظم المكرمات، وأعلىٰ الدرجات والمقامات.

ختاماً

إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان:٣٠].

بعد تلك السياحة العلمية الإيمانية المختصرة في عظمة القرآن الكريم وجلاله وجماله، وفضله ومنزلته، وأهمية العيش في ظلاله للمؤمن بصورة خاصة، نقول في خاتمة هذه الرسالة: أن الخسران المبين في الإعراض عن كلام رب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]، أو نسيانه، قال تعالىٰ عن المشركين: ﴿نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورَۢا﴾ [الفرقان: ١٨]، أي: هلكىٰ، أو هجرانه بأي نوع من أنواع الهجران، وقد ورد التحذير الشديد عن ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾، فكيف يهجر عاقل كلام ربه؟! روح الحياة ونورها ليس له بغيرهما روح ونور، كتاب يهدي للتي هي أقوم، لا يضل متبعه ولا يشقىٰ، كتاب

جعله الله تعالىٰ شفاء ورحمة، وعزاً وشرفاً لهذه الأمة.

إذا كان هجر القرآن هي شكوىٰ حبيبنا إلىٰ الله فمن الخسران أن يقع منا ذلك؛ فلنحذر من هجره سواء هجر إيمان به وتصديق، وهو أحد أركان الإيمان الستة، ويكون حظنا منه التكذيب، قال تعالىٰ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨١- ٨٢]، أو هجره هجر استماع إليه بالانشغال بسماع غيره من اللهو والغناء، أو هجره هجر تلاوته فلا نختمه في الشهر علىٰ الأقل إلا مرة، كما جاء في صحيح البخاري قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، حَتَّىٰ قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ»، أو هجره هجر تدبره وتفهّمه، ومعرفة ما جاء فيه من الهدىٰ في العقيدة والأخلاق والعبادات والأحكام وغيرها، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، أو هجره هجر عمل بعدم فعل أوامره وترك نواهيه، فإن الله تعالىٰ ما أنزله إلا لنتبع ما جاء فيه، قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢]، أو هجره هجر تحاكم

إليه في كل شؤون حياتنا؛ بالعدول عنه إلىٰ القوانين الوضعية، وذلك من صفات المنافقين، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠ -٦١]، أو هجره هجر تداوي واستشفاء به من أمراض القلوب والأبدان؛ باللجوء إلىٰ السحرة والدجالين والمشعوذين للتداوي بما عندهم من طلاسم وغيرها، فأي نوع من أنواع الهجر يقع له هو خسارة علينا، وإن كان بعضه أشد من بعض، فبسبب بُعد الناس اليوم عن القرآن قست قلوبهم، وتسلط الشيطان عليه، ودخل الوهن في عقيدتهم ودينهم، وقلّت الرحمات والبركات، وكثرت المصائب والنكبات، فهذه الرسالة هي صرخة محبٍّ لأحبائه بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

فلنعظّم القرآن حقَّ تعظيمه، علماً واعتقاداً وعملاً ودعوة لنيل ما وعد الله تعالىٰ به من خير كثير، وحتىٰ نستطيع أن نهزم كل عدو غاشم من شياطين الجن والإنس، ولا نكون ممن قست قلوبهم، وانهزمت نفوسهم، واستلبت شياطين الجن والأنس عقولهم عن الصراط المستقيم؛ بسبب بعدهم عن كلام ربهم جَلَّوَعَلَا الذي لا يثبت أمامه شيء من صنع البشر وأقوالهم.

جعلني الله تعالىٰ وكل من قرأ هذه الرسالة، وساهم في نشرها من أهل القرآن الذين هم أهل الله تعالىٰ وخاصته، الفائزين بجنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، من غير حساب ولا عقاب، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله علىٰ توفيقه ومنّه وإكرامه.

تم الانتهاء منها في يوم السبت الموافق: ٣٠ رمضان ١٤٤١هـ

ببلد الله الحرام: مكة زادها ربي شرفًا

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ ٧
عليٌّ مكنون ١٠
جلال النزول ١٢
قول ثقيل ١٥
لا ريب فيه ١٨
مصدق ومهيمن ٢١
الحفظ الأبدي ٢٤
آية الرسالة الكبرىٰ ٢٧
تبيانٌ لكلِّ شيء ٣٠
عظمة في أسمائه وصفاته ٣٢
كتاب حكيم ٣٥
ذكر مبارك ٣٨
ذكرٌ للعالمين ٤٠

روح من أمر الله تعالىٰ ٤٢
ولكن جعلناه نورا ٤٥
يهدي للتي هي أقوم ٤٨
لا يضلُّ ولا يشقىٰ ٥١
شفاء ورحمة ٥٤
تجارة لن تبور ٥٧
حبل نجاة لمعتصم ٦١
كتاب فيه ذكركم ٦٤
الشفِيع الـمُشَفَّع ٦٧
(ختامـًا) إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ٧١
فهرس الموضوعات ٧٥

alnpaa.com + 966 550427304
alnpaa@gmail.com